

## الحركات الإسلامية وسلاح التكفير

الدكتور جميل حمداوي<sup>(١)</sup>

### مقدمة:

عرف واقعنا السياسي المعاصر مجموعة من الحركات والجمعيات الإسلامية التي تجمع بين ما هو ديني وما هو سياسي، تحمل خطاباتها ومؤلفاتها وأوراقها ورسائلها وبياناتها التأسيسية شعارات التغيير والإصلاح والتنوير والتهذيب والإنقاذ، وتحرير المجتمع من شوائب البدع الضالة، وتطهيره من الكفر والزندقة والإلحاد والمروق، بعد أن تفتش الفساد في مجتمعنا على جميع الأصعدة والمستويات، حتى أصبح هذا المجتمع يعيش في جاهلية ثانية أكثر خطورة من الجاهلية الأولى، وقد سماها المفكر المصري الشيخ محمد قطب (جاهلية القرن العشرين)<sup>(٢)</sup>. ومن ثمّ، فقد كثرت الفرق والحركات والجمعيات الإسلامية الداعية إلى الإصلاح والتغيير. ولم تقف بعض الجمعيات عند البعد الحركي السياسي والديني فقط، بل وصلت إلى الحكم والسلطة، بعد أن تحوّلت إلى أحزاب سياسية لها برامج إصلاحية شاملة، كما هو شأن جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وحركة النهضة في تونس،

(١) أستاذ جامعي وباحث في الفكر الإسلامي، من المغرب. jamilhamdaoui@yahoo.fr

(٢) قطب، محمد: جاهلية القرن العشرين، ط١، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٠م.

وحزب العدالة والتنمية في المغرب، وحزب العدالة والتنمية في تركيا. ويُضاف إلى هذا، أنّ ثمة حركات إسلامية معتدلة ووسطية، مثل: حزب العدالة والتنمية في المغرب، وحركة النهضة في تونس في مقابل حركات متطرّفة، مثل: جماعة التكفير والهجرة، والسلفية الجهادية، والقاعدة الأفغانية مع أسامة بن لادن وأيمن الظواهري...

لكن ما يميّز هذه الحركات المتطرّفة الإسلامية اعتمادها على سلاح التكفير في زمن التفكير<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق، جاءت هذه المقالة لتعالج مجموعة من الأسئلة، هي: ما مفهوم التكفير؟ وما هي أنواعه؟ وما هو سياقه التاريخي؟ وما هي أهمّ الجمعيات والحركات الإسلامية المعاصرة التي استخدمت سلاح التكفير في وجه الآخر والحاكم والمجتمع على حدّ سواء؟ وغيرها من الأسئلة التي ترتبط بظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي.

### أولاً: مفهوم التكفير:

يشتق مصدر التكفير من فعل كَفَرَ وكَفَّرَ (بالتضعيف)، وهو يعني اتهام الآخر بالإلحاد والزندقة والمروق والجحود، خاصّة إذا كان هذا الآخر قد أشرك بالله، وارتدّ عن الإسلام، أو لم يؤمن نيةً أو قولاً أو فعلاً بأصول الدين، ولم يتمثّل ما أوجب الله عليه من أركان الإسلام الخمسة، أو جعل مع الله نداً؛ كأن يدّعي له - تعالى - ولداً أو شريكاً في الألوهية.

وغالباً ما يرتبط الكفر بدار الحرب، في حين، يقترن الإيمان بدار الإسلام. وفي هذا الصدد، يقول ابن منظور في (لسان العرب) في مادّة كَفَرَ: «كفر: الكفر: نقيض الإيمان، آمنّا بالله وكفرنا بالطاغوت. كفر بالله يكفر كفراً وكفوراً وكفراناً. ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا؛ أي عصوا وامتنعوا. والكفر: كفر النعمة، وهو نقيض الشكر. والكفر: جحود النعمة،

(١) بحسب تعبير نصر حامد أبو زيد. انظر عنوان كتابه: التفكير في زمن التكفير، ط١، القاهرة، دار سينا للنشر، ١٩٩٥م.

وهو ضدّ الشكر. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ﴾؛ أي: جاحدون. وكفر نعمة الله يكفرها كفوراً وكفراناً. وكفر بها: جحدها وسترها. وكافره حقّه: جحده. ورجل مكفر: مجحود النعمة مع إحسانه. ورجل كافر: جاحد لأنعم الله، مشتقّ من الستر، وقيل: لأنّه مغطّى على قلبه. قال ابن دريد: كأنّه فاعل في معنى مفعول، والجمع كفّار وكفرة. وكفّار مثل جائع وجياع، ونائم ونيام...

ويعني التكفير الذل والخضوع. وأكفرت الرجل: دعوته كافراً. يقال: لا تكفر أحداً من أهل قبلك؛ أي: لا تسبهم إلى الكفر؛ أي: لا تدعهم كفّاراً، ولا تجعلهم كفّاراً بقولك وزعمك. وكفّر الرجل: نسبه إلى الكفر...»<sup>(١)</sup>.

ويتبيّن، ممّا سبق ذكره، أنّ التكفير هو اتّهام الآخرين بالكفر والإلحاد؛ إمّا ظلماً وجوراً وظناً، وإمّا حقيقة وتبيّناً وتوقّفاً. وقد اتّخذ التكفير عند بعض الجمعيات والفرق الإسلامية السياسية والدينية، قديماً أو حديثاً، سلاحاً مضاداً لمواجهة السلطة وحكّامها والمتعاونين مع أنظمة الجور والبغي والفساد، كما اتّخذ - أيضاً - سلاحاً حاداً ضدّ المجتمع والأفراد والملل والنحل والمجتمعات الغيريّة المقابلة.

## ثانياً: أسباب التّكفير:

ثمّة مجموعة من الأسباب والدواعي التي تدفع الإنسان إلى تكفير الإنسان الآخر، منها: عدم فهم الدين فهماً حقيقياً؛ بمراعاة مقاصده القريبة والبعيدة، أو التوقّف عند ظاهر النصّ دون استنطاق دلالاته العميقة، علاوة على الاختلافات السياسية بين الفرق والجماعات الإسلامية، وتناقض مصالحها، وتضارب أهوائها الأيديولوجية، وفهم الأمور الدينية والواقعية والسياسية فهماً سطحياً، دون التعمّق في حيثياتها الحقيقية، والغلو والتطرّف في الدين، وعدم التسامح والتعايش مع

(١) الإفريقي، ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صبح؛ وأديسوفت، ط١، المغرب - الدار البيضاء، ٢٠٠٦ م، مادة «كفّر»، ص ١١٤.



وقد ناقشت الفرق الكلامية قضية تكفير مرتكب الكبيرة، هل يخلد في النار أم لا؟ وتباينت آراء الخوارج والشيعة والمرجئة في ذلك؛ بين متشدّد؛ كالخوارج، ومتساهل؛ كالمرجئة. بل، قد ناقشته المعتزلة والأشاعرة حينما تناولتا قضية مرتكب الكبيرة وموقف الشرع منه. وفي هذا الصدد، يقول الدكتور محمد علي أبوريان: «وعلى هذا، فإننا نرى كيف أنّ نشأة هذه الفرق الأولى في الإسلام إنّما كانت بسبب سياسي أولاً، ولم تلبث هذه الفرق أن كُفّرت بعضها بعضاً؛ نتيجة لتفسير كلّ منها لمدلول الإيمان، وعمّا إذا كان أمراً قلبياً محضاً أم مرتبطاً بالعمل. فكُفّرت الخوارج مرتكب الكبيرة، بل أباح بعضهم دمه، وأرجأت المرجئة الحكم عليه إلى يوم القيامة. أمّا المعتزلة، وإن كانت معظم مباحثهم تدور حول مسائل الأصول، إلا أنّهم اتخذوا موقفاً معيّناً بصدد مشكلة مرتكب الكبيرة، فقالوا: إنّهُ في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان»<sup>(١)</sup>.

وعليه، فإنّ نشأة الفرق الكلامية في تاريخ الفكر الإسلامي كان منطلقها التكفير السياسي الذي غلّف بقناع التكفير الديني. هذا، وثمة حديث نبوي يشير إلى ما يسببه الخلاف من مشاكل سياسية ودينية بين الفرق والملل والنحل في منظومتنا الفكرية العربية الإسلامية، خاصة مشكل التكفير الذي يتّخذهُ الفرد أو الجماعة سلاحاً يُوجّه ضدّ الآخر على أساس أنّه على حقّ وصواب، وأنّ الآخر على كفر وضلال وخسران. وفي هذا الصدد، يقول النبي ﷺ: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار؛ إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي - وفي بعض الروايات - هي الجماعة»<sup>(٢)</sup>.

(١) أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، م.س، ص١٢٧.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وهناك من يشكُّ في صحَّة هذا الحديث؛ كما يثبت ذلك الدكتور محمد علي أبوريان في كتابه (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام)<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم الغزالي مبدأ التكفير في كتابه (تهافت الفلاسفة)، حيث كفرَّ الفلاسفة المسلمين في ثلاث مسائل، وبدَّعهم في سبع عشرة مسألة. وهذه المسائل الثلاثة هي: قولهم بأزليَّة العالم، وإنكارهم معرفة الله بالجزئيات، وإنكارهم لحشر الأجساد. بيد أن ابن رشد قد فنَّد ما ذهب إليه الغزالي، ودافع عن الفلاسفة في كتابه (تهافت التهافت)، وبرَّاهم من تهمة التكفير.

ولم يقتصر التكفير على الفلاسفة فحسب، بل كفرَّ الناس كذلك المتصوِّفة، ولا سيَّما الفلاسفة منهم، مثل: الحلاج الذي قال بالحلوليَّة، بل كفرَّوا كذلك الأدباء والمفكرين الزنادقة من أهل الفرس الذين ينتمون إلى الديانة المانوية إبان العصر العباسي، ومنهم: بشار بن برد، وأبو نواس، وأبو العتاهية، وابن المقفَّع، وابن الراوندي، وأبو عيسى الوراق... وقد تردَّد مصطلح الزندقة والإلحاد في العصر العباسي أكثر من مصطلح التكفير. ويلاحظ أنَّه كان يمسُّ الأدباء والشعراء والفلاسفة والمتصوِّفة والمثقفين أكثر ممَّا كان يمسُّ عامَّة الناس. وقد اتُّهم ابن رشد في الأندلس بالإلحاد والزندقة؛ لأنَّه كان يشتغل بالفلسفة والمنطق، ومن «تمنطق تزندق»؛ كما يقول الغزالي. لذا، شنَّ الفقهاء على ابن رشد حملة شعواء، فأحرقوا كتبه ومؤلفاته باسم التكفير. وفي الوقت نفسه، كانت أوروبا تقرُّ الفلسفة الرشدية؛ باعتبارها دعامة أساسية لبناء نهضتها الحضارية في ضوء العقلانيَّة المنطقيَّة والبرهانيَّة.

بيد أن الزندقة قد تحوَّلت في عصرنا هذا إلى تكفير للأعلام والمثقفين والأدباء في زمن التفكير؛ كما هو الحال مع حسن الترابي، وأحمد البغدادي، وحمزة المزيني، وأحمد الحبيشي، وفوزي الشيبني،

(١) أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، م.س، ص ١١٥.

ونصر حامد أبي زيد، ومحمد أركون، وجمال البنا، والروائي حيدر حيدر، وأدونيس، ومحمد شكري، ونجيب محفوظ... واللائحة طويلة جداً.

### رابعاً: موقف الشرع الإسلامي من قضية التكفير:

نهى الإسلام؛ قرآناً وسنّة، عن تكفير الناس إذا لم تكن القرائن واضحة، والأمّارات جليّة وملموسة، فقد قال الرسول ﷺ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»<sup>(١)</sup>. ومعنى هذا أنّ الذي يتّهم الآخر بالكفر فقد يكون صادقاً في حكمه أو كاذباً، فإن كان كاذباً؛ فيرتدّ ذلك الاتّهام إليه.

فلا بدّ من الاحتراس في إطلاق الأحكام على الآخرين، فعن أبي ذر الغفاري (رض) أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَوَلِيَّكَ كَذَلِكَ؛ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>. وأكثر من هذا، يفضّر الله جميع الذنوب إلا الشرك به؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعليه، يحذّر الله الناس من عاقبة التكفير في حالة عدم التبيّن والتوقّف، وغياب الدليل والحجّة والبرهان، فإنّ ذلك إفاك وبهتان وجور. وفي هذا، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وعلى العموم، فإنّ الإسلام، قرآناً وسنّة، ينهى عن الغلوّ في الدين، ويحذّر من مغبّة التكفير، ويدعو إلى الوسطيّة والاعتدال؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

(١) رواه البخاري ٣٢/٨، كتاب الأدب باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال.

(٢) رواه البخاري ١٨/٨، كتاب الأدب.

(٣) النساء: ٤٨.

(٤) النساء: ٩٤.

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١﴾. كما يدعو إلى التفقه في الدين تفقهاً عميقاً؛ مصداقاً لقول النبي ﷺ: «من يُردِ اللهَ به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله» (٢).

## خامساً: أنواع التكفير:

هناك مجموعة من أنواع التكفير يمكن حصرها بالتالي:

### ١. التكفير الديني:

ولهذا التكفير أوجه عدة قد بيّنها الفقهاء وعلماء الشريعة الإسلامية ومصنّفو كتب التوحيد والعقيدة وأصول الدين، وأجملوها بالكفر بأصول الإيمان، وهي: الكفر بالله، والكفر بالملائكة، والكفر بالكتب السماوية، والكفر برُسل الله، والكفر باليوم الآخر، والكفر بنعم الله، وكفر الردّة، والكفر بأركان الإسلام، مثل: الكفر بالصلاة، والكفر بالزكاة، والكفر بالصيام، والكفر بالحج. وقد حارب الخليفة الأوّل مانعي الزكاة، فاعتبرهم مرتدّين عن الإسلام، ولو كانوا موحدّين، إذ تمثّل الخليفة قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ (٣). وفي هذا السياق نفسه، قال الخليفة الثاني: «ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تمنعوهم حقّهم فتكفروهم؛ لأنّهم ربّما ارتدّوا إذا منعوا عن الحقّ» (٤).

ومن العلماء من يصنّف الكفر إلى أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق. وفي هذا الصدد، يقول ابن منظور: «قال بعض أهل العلم: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار بأن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق؛ من لقي ربه بشيء من

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) روى الحديث سعيد بن غفير عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية، وقد أورده البخاري في صحيحه.

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، م.س، ص ١١٤-١١٥.

ذلك لم يغير له، ويغير ما دون ذلك لمن يشاء. فأما كفر الإنكار، فهو أن يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد، وكذلك روي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: الذين كفروا بتوحيد الله، وأما كفر الجحود، فإن يعترف بقلبه ولا يقتر بلسانه؛ فهو كافر جاحد؛ ككفر إبليس وكفر أمية بن أبي الصلت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾؛ يعني كفر الجحود، وأما كفر المعاندة؛ فهو أن يعرف الله بقلبه ويقتر بلسانه ولا يدين به حسداً وبغياً؛ ككفر أبي جهل وأضرابه. وأما كفر النفاق، فإن يقتر بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد بقلبه»<sup>(١)</sup>.

وقد صنّفه سعيد بن جبير إلى أنحاء، مثل: الكفر بالله، والكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر النفاق، والكفر بوحدانية الله. كما ورد في (لسان العرب) لابن منظور: «كتب عبد الملك إلى سعيد بن جبير يسأله عن الكفر، فقال: الكفر على وجوه: فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلهاً آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر بادعاء ولد لله، وكفر مدعي الإسلام، وهو أن يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله ويسعى في الأرض فساداً، ويقتل نفساً محرّمة بغير حق، ثم نحو ذلك من الأعمال كفران: أحدهما كفر نعمة الله، والآخر التكذيب بالله»<sup>(٢)</sup>.  
ويعني هذا أن التكفير الديني يتعلّق بقضايا الدين لجهة سوء فهمها وتطبيقها.

## ٢. التكفير السياسي:

يتعلّق هذا التكفير بأمور السياسة؛ كتكفير الحاكم، أو تكفير السلطة الحاكمة، أو تكفير الديمقراطية، أو تكفير الفرنجة وأنظمتهم السياسية أو القوانين الغربية، وقد يكون هذا التكفير راجعاً إلى اختلاف الفرق والحركات والجمعيات والتيارات السياسية على مستوى المرجعيات والمنطلقات الإيديولوجية والأهواء والمصالح.

(١) ابن منظور: لسان العرب، م.س، مادة «كفر»، ص ١١٤.

(٢) م.ن.

### ٣. التكفير الفكري:

يمسّ هذا النوع من التكفير ما يتعلّق بما هو فكري وثقافي؛ بمعنى أنّ هناك من يكفّر العلماء والمثقفين والمبدعين والفنّانين؛ بسبب كتاب، أو مؤلّف، أو رأي، أو قولة، أو دور فني... وقد انتشرت هذه الظاهرة في العصر العباسي بكثرة، حينما اتُّهم مجموعة من الشعراء ذوي النزعة الفارسية بالزندقة والإلحاد والكفر، كما اتُّهم الفلاسفة والمتصوّفة بالحكم نفسه؛ بسبب تأويلاتهم وآرائهم الجريئة في مجال الميتافيزيقا أو العرفان الصوفي. ولم يقتصر هذا النوع على مثقفي العصر العباسي، بل امتدّ ذلك إلى عصرنا هذا، وانتشر بشكل لافت للانتباه، فقد كُفّر الفلاسفة، والأدباء، والنقاد، والعلماء، ورجال الدين، والفنّانون...

### سادساً: الحركات الإسلامية وسلاح التكفير:

من المعلوم، أنّ الحركات الإسلامية السياسية متنوّعة. فهناك حركات متطرّفة تغلو في الدين، وحركات حدائيّة تأخذ بتلابيب الحدائث الغربيّة، وحركات معتدلة في أفكارها وقيمها ومبادئها. ومن ثمّ، فقد ارتبط مبدأ التكفير ببعض الحركات الإسلامية التي تُعرّف بالغلو والتطرّف والتشدد.

#### ١. أبو الأعلى المودودي والجماعة الإسلامية:

أسّس أبو الأعلى المودودي الجماعة الإسلامية بالهند سنة ١٩٣٩م، ثمّ في باكستان سنة ١٩٤١م، وقد تأثرت كثيراً بجماعة الإخوان المسلمين في مصر. ويُعدّ أبو الأعلى المودودي رأس التكفيريين، وتقوم فكرته على تكفير المجتمع والحاكم على حدّ سواء.

ومن بين الدعاة الإسلاميين المحدثين انفراد أبو الأعلى المودودي ببعث قضية تكفير المسلم التي ظهرت في الإسلام لأول مرة مع الخوارج. والذين يتتبعون مسار الدعوات والحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة، يلفت انتباههم أنّ أبا الأعلى المودودي، أمير الجماعة الإسلامية بباكستان، انفراد من بين الدعاة الإسلاميين المحدثين ببعث هذا الشعار. وقد نظر

المودودي إلى الإسلام تحت هيمنة الحضارة الغربية الجاهلية، التي خلعت سلطانه القانوني، وأحلت محلّه فلسفة قانونها الوضعي وتشريعاتها التي لا تتسق مع الشريعة في كثير من المبادئ والأصول... نظر إلى هذا الواقع فرأى (أنّ دين الله قد رزىّ وغلب على أمره بيد الكفر وأهله، وأنّ حدود الله ما انتهكت واعتدي عليها فحسب، بل إنّها تكاد تنعدم من الوجود لأجل غلبة الكفر، وأنّ شريعة الله قد أهملت ونبذت وراء الظهور، لا عملاً فقط، بل بموجب القانون أيضاً، وأنّ أرض الله قد اعتلت فيها كلمة أعداء الله). فالكفر هنا، هو الحضارة الغربيّة المادّيّة الإلحادية، غلبت وغلب أهلها - أعداء الله - على الإسلام وشريعته وأمته وحضارته. إنّهُ حكم ذو طابع حضاري وسياسي وقومي ووطني، يواجه به المودودي هيمنة الغرب (الاستعمارية - الحضارية) مواجهة ترفض هذه الهيمنة رفضاً جذرياً<sup>(١)</sup>.

وعليه، يكفّر أبو الأعلى المودودي مجتمعنا المعاصر، ويصفه بالجاهليّة والكفر، كما يكفّر كلّ من لا يحكم بشريعة الله، وينساق وراء الغرب في تطبيق قوانينه الجائرة. ومن هنا، يرتكز فكر أبو الأعلى المودودي على مبدئين أساسيين هما: الجاهليّة والتكفير.

## ٢. جماعة الإخوان المسلمين:

ظهرت جماعة الإخوان المسلمين في مصر مع مرشدهم حسن البنا، وكانت رؤيتهم قائمة على التصحيح، والتغيير، والتوجيه، والتنوير، وبناء الذات المسلمة، والمشاركة في بناء المجتمع المدني، والدخول في غمار السياسة، كما هو شأن الحركة في السنوات الأخيرة حينما وصلت إلى الحكم، لكن سرعان ما أسقط الشعب المصري حكم الإخوان وحكومتهم. هذا، وقد عرفت حركة الإخوان مبدأ التكفير مع التيار القطبي نسبة

(١) عمارة، محمد: (رؤية إسلامية لقضايا ساخنة.. تكفير المسلم)، مقدّمة، كتاب العربي، الكويت، العدد ٢٩،

إلى سيد قطب الذي تأثر كثيراً بأبي الأعلى المودودي. ولم يقتصر التكفير على المجتمع والحكام عند جماعة الإخوان، بل تجاوز ذلك إلى تكفير المناوئين والخصوم السياسيين والحركيين.

### ٣. أيمن الظواهري وقاعدة التكفير:

تبلور مبدأ التكفير مع أيمن الظواهري الذي يُعدّ من أهمّ قياديين القاعدة بأفغانستان، فقد كفر الديمقراطية، واعتبر كلّ مَنْ لم يحكم بشريعة الله كافراً؛ لأنّ الديمقراطية حكم الشعب، في حين تتميز الشريعة بربانيّة مصدرها. وقد عبّر أيمن الظواهري عن أفكاره في كتابه (الحصاد المرّ، الإخوان المسلمون في ستين عاماً). وفي هذا الصدد، يسرد أيمن الظواهري مجموعة من الأدلّة ويحصرها فيما يلي: «توافرت أدلّة الكتاب والسنة وأقوال العلماء من السابقين والمعاصرين على أنّ تعديل الشريعة الإسلامية بغيرها كفر، وبالذات بهذه الصورة الشنيعة التي نراها في بلاد المسلمين الآن، وأنّ هذه الأنظمة المستبدلة لشرع الله خارجة عن الملة الإسلامية للأسباب الآتية:

أ- عدم الحكم بشريعة الله، واستبدالها بقوانين مختلطة ملفقة سمّاها الشيخ أحمد شاكر ب (الياسق العصري)<sup>(١)</sup>.

ب- الاستهزاء بالشريعة: وهل هناك استهزاء أكبر من أن تؤخّر الشريعة، أو يقدم عليها غيرها، أو تجعل ورقة تُعرض على هذا الهراء الذي يسمّى مجلس الشعب، فيوافق عليها مَنْ يوافق، ويعترض مَنْ يعترض، ويعتبر هذا هو الطريق الوحيد للحكم به؟

ج- الحكم بالديمقراطية: وهي كما وصفها أبو الأعلى المودودي؛ (حاكمة الجماهير)، و(تأليه الإنسان) في كتابه (الإسلام والمدنية الحديثة). والديمقراطية شرك بالله. والفاصل بين الديمقراطية

(١) الياسق العصري هو الدستور.

والتوحيد؛ أن التوحيد يجعل التشريع لله، والديمقراطية هي حكم الشعب لصالح الشعب. المُشَرِّع في الديمقراطية هو الشعب، والمُشَرِّع في التوحيد هو الله سبحانه وتعالى... فالديمقراطية شرك بالله؛ لأنها نزعَت حقَّ التشريع من المولى عزَّ وجلَّ وأعطته للشعب.

د- استحلال المحرّمات وتحريم الحلال: وأصل هذا المبدأ عندهم موجود في الدستور المصري في المادّة السادسة والستين، حيث تقول: (لا جريمة ولا عقوبة إلا بقانون)، يعني كل ما لم ينصّ عليه الدستور، وبالتالي القانون أنه جريمة؛ فهو ليس جريمة، وإن اجتمعت عشرات الآيات ومئات الأحاديث على أن هذا العمل جريمة... وما لم يكن جريمة في الدستور ولا القانون؛ فهو حلال في الدستور والقانون، ومن حقّ أيّ مواطن يظنّه الدستور والقانون أن يفعل هذا الفعل ولا يستحقّ أيّ عقوبة... بل، ومن يحاول أن يمنعه يكون مجرماً في نظر الدستور والقانون، وإن كان ممدوحاً مثاباً مأجوراً في الشريعة، ويكون هو المستحقّ للعقوبة<sup>(١)</sup>.

وهكذا، يتبيّن أنّ أيمن الظواهري يُكفّر كلّ مَنْ لم يحكم بشريعة الله، أو يسخر منها حينما يحكم بغير شريعة التوحيد. كما يكفّر الديمقراطية بكلّ مظاهرها وتجلياتها، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، ويكفّر - أيضاً - المجالس النيابية، ولا سيّما مجلس الشعب والقوانين المعاصرة التي تحرّم الحلال، وتحلّل الحرام.

ويعتمد أيمن الظواهري في ذلك على مجموعة من الاستشهادات النصّية التي تكفّر الأنظمة القانونية الغربية وأحكامها التشريعية المعاصرة؛ بمعنى أنّ مَنْ يحكم بالقوانين الأوروبية فهو كافر، فمن لم يُتّب؛ فهو مرتدّ عن الإسلام، ويجب فيه حدّ القتل. كما علّق العلامة محمد

(١) الظواهري، أيمن: الحصاد المرّ - الإخوان المسلمون في ستين عاماً -، مطبوعات جماعة الجهاد، لات،

حامد الفقي على كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، حيث قال: ومثل هذا، وشَرَّ منه؛ مَنْ اتَّخَذَ مِنْ كَلَامِ الْفَرَنْجَةِ قَوَانِينَ يَتَحَاكَمُ إِلَيْهَا فِي الدَّمَاءِ وَالْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ، وَيَقْدِمُهَا عَلَى مَا عِلْمٌ وَتَبَيَّنَ لَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَهُوَ بِلَا شَكِّ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ إِذَا أَصْرَّ عَلَيْهَا وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا يَنْفَعُهُ أَيُّ اسْمٍ تَسَمَّى بِهِ، وَلَا أَيُّ عَمَلٍ مِنْ ظَوَاهِرِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَنَحْوِهَا...»<sup>(١)</sup>.

ويرى أيمن الظواهري أنه إذا لم يحكم الحاكم بحكم الله، لا تجوز طاعته، ولا بدّ من مجاهدته والخروج عليه. وفي هذا الصدد، يقول: «يقول الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث النبي ﷺ: «إلا أن تروا كُفْرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان» [وهو متفق عليه]، قال: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا يجوز طاعته في ذلك بل يجب مجاهدته لمن قدر عليها، لحديث رواه البخاري عن جنادة، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا أصلحك الله حَدِّثْ بِحَدِيثِ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قال: دعانا النبي ﷺ، فبايعناه، فقال في ما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كُفْرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان»<sup>(٢)</sup>.

هذا، وقد صبَّ أيمن الظواهري جام غضبه على حركة الإخوان المسلمين التي كانت تهادن السلطة الحاكمة. وأشار إلى أن حسن البنّا قد شهر سلاح التكفير في كل من يرتكب جرائم في حقّ وطنه، في بيان تحت عنوان (ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين)؛ ويعني هذا أن مبدأ التكفير قد استخدمه الإخوان المسلمون على غرار أبي الأعلى المودودي. وفي هذا النطاق، يقول الدكتور محمد ظريف في كتابه (الدين والسياسة في

(١) الظواهري، الحصاد المرّ - الإخوان المسلمون في ستين عاماً -، م.س، ص.٦.

(٢) م.ن.

المغرب): «يمثل تكفير الديمقراطية التعبير النظري لخيار المقاومة، تعبير نظري يجد مصدره وأصوله في أدبيات أبي الأعلى المودودي؛ كمرجعية مركزية، وسيد قطب؛ كمرجعية فرعية. ويعتبر أيمن الظواهري المنظر الإيديولوجي لتيار الأفغان العرب ومؤسس تنظيم (طلائع الفتح) وريث أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، حيث يؤسس تصوّراته النظرية على تكفير الديمقراطية»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك، يبدو أنّ جماعة الإخوان المسلمين أكثر اعتدالاً مقارنة بجماعة الجهاد المتطرّفة التي تستعمل مبدأ التكفير إلى درجة الغلو. وأكثر من هذا، تكفّر جماعة الجهاد الإخوان المسلمين، وتطالبهم بالتوبة؛ وإلا فهم كفار<sup>(٢)</sup>.

هذه هي أهمّ المواقف التي يركز عليها فكر أيمن الظواهري التكفيري، وتسمّ بالغلو والتطرّف والتشدّد والعنف.

#### ٤. جماعة التكفير والهجرة؛

تعدّ جماعة التكفير والهجرة من أهمّ الحركات السياسية الإسلامية التي التجأت إلى مبدأ التكفير لمحاسبة خصومها. وقد شكّلت الحركة في سجون مصر سنة ١٩٦٥م بقيادة الشيخ علي إسماعيل ماهر، وعبد العزيز زناتي، وشكري أحمد مصطفى، بعد مجموعة من الاعتقالات التي أدّت إلى إعدام سيد قطب. وقد تبلورت الحركة في صفوف طلبة الجامعات، ولا سيّما جامعة أسيوط، وكثر أتباعها في الوطن العربي، مثل: اليمن، والأردن، والمغرب، والجزائر...

هذا، وقد كفّرت الجماعة مرتكبي الكبائر الذين لم يتوبوا منها، كما كفّرت الحكّام والمحكومين والعلماء الذين يتمادون في الضلالة، واختارت الهجرة مسلماً للهروب من عالم الجاهليّة والفساد، حيث

(١) ظريف، محمد: الدين والسياسة في المغرب، ط١، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٠م، ص١٠٩.

(٢) الظواهري، الحصاد المرّ - الإخوان المسلمون في ستين عاماً -، م.س، ص٦.

هجر أصحابها المساجد، وتخلّوا عن صلاة الجمعة، وهجروا التعليم والمدارس، وهجروا الوظائف الحكومية، وهجروا المجتمعات الإسلامية بمن فيها. ويعني هذا أنّ هذه الحركة تُبنتى على مرتكزين أساسيين، هما: التكفير، والهجرة إلى الله. وهي قريبة من فرقة الخوارج من حيث آراؤها ومبادئها السياسية.

وتعتمد هذه الحركة على المستوى المنهجي والتكتيكي على ثلاث خطوات أساسية هي: الدعوة إلى أفكارهم السياسية، والاستضعاف باعتباره نوعاً من التقية أو هجرة إلى الجبال والصحاري والمفاوز والأماكن الخالية والمنعزلة بعيداً عن مجتمع الجاهلية، والتمكين من أسباب البقاء والحضور في الساحة الدينية والسياسية.

وهكذا، يتبيّن أنّ هذه الجماعة متطرّفة في الأخذ بمبدأ التكفير على الرغم من اشتراط البيّنة والتوقّف؛ بمعنى التوقّف في أمر مجهول الحال من غير جماعتهم من المسلمين، ولا يحكمون عليه إلا بعد التبيّن والتثبت.

## ٥. حركة السلفية الجهادية :

ظهرت حركة السلفية الجهادية في السعودية، وقد رفضت الوجود الأمريكي في أرض الحرمين أثناء الحرب الخليجية الأولى، واعتبرت قوات العدو كافرة، فتصدّعت مؤسّسة الدين الرسمية السعودية إلى فئتين: فئة تدافع عن قرارات السلطة، وفئة رافضة لهذا الوجود. ومن بين الرافضين أسامة بن لادن الذي غادر السعودية متّجهاً حياّل أفغانستان. وقد أسّس هناك قاعدة جهادية واسعة، انضمّ إليها مجموعة من المتطوّعين السلفيين الذين كانوا يقاثلون الروس في أفغانستان. وقد كان لهذه الحركة أتباع كثيرون في العراق والجزائر والشيشان والمغرب وتونس واليمن والصومال ومصر... ويحضر عندهم مبدأ التكفير بشكل لافت للانتباه؛ كتكفير القوات الأجنبية الغازية، وتكفير مرتكبي الكبائر، وتكفير الحكّام التابعين للغرب والمتعاونين معهم.

## ٦. الطليعة السلفية الجهادية :

تشكّلت جماعة أخرى في مصر تحت قيادة أحمد عشوش، تسمّى بالطليعة السلفية الجهادية (أنصار الشريعة) التي أعلنت في بيانها التأسيسي أنها: «حركة وتيار دعوي يجدد ويجتهد ويقاوم باللسان والسنان، والدعوة والبيان، كل مشاريع الاستعمار والهيمنة العالمية لدول الاستعلاء والكفر وأذنبهم في العالم الإسلامي، الذي صار هدفاً للاستعمار الصهيوني - النظام العالمي الذي تقوده أمريكا - ... وإقامة لخلافة إسلامية راشدة، تكون ملاذاً لجميع المسلمين على وجه البسيطة. فحن تيار إسلامي أصيل يعمل على إحياء العمل بالكتاب والسنة وتجديد شباب الأمة، وإقامة دولة الخلافة الإسلامية بكل الوسائل والسبل المشروعة والمُتاحة، ونؤكد على الدعوة والجهاد؛ كجناحين لا غنى عنهما لنشر الإسلام والحفاظ عليه، فقوام هذا الدين كتاب يهدي وسيف ينصر، وجماع ذلك يكون بخلافة إسلامية راشدة، إذ إننا نعتقد أنّ التغيير الكامل والالتزام التام بالكتاب والسنة لا يتم إلا بسلطة إسلامية راشدة وعادلة... ومن ثمّ فإننا ندعو ونعمل على إقامة خلافة إسلامية راشدة؛ تحقيقاً لهذه الأهداف التي نعتقدها، ونبدل قصارى جهدنا في تحقيقها»<sup>(١)</sup>.

ونستشف من هذا البيان التأسيسي أنّ سلاح التكفير حاضر بشكل من الأشكال، وبالضبط حين الدعوة إلى حكومة إسلامية راشدة. ويعني هذا أنّ الجماعة تكفر كل الأنظمة التي لا تحكم بشريعة الله، كما تكفر الحكام والتابعين لهم، وكل من يقلد الغرب في أحكامه ونظمه وقوانينه الجائرة.

(١) عشوش، أحمد: (البيان التأسيسي للطليعة السلفية المجاهدة، أنصار الشريعة)، موقع النصرة والتمكين،

٢٠١٢-١١-١٨ م.

## ٧. جمعية العدل والإحسان:

ظهرت جمعية العدل والإحسان في المغرب مع قائدها عبد السلام ياسين سنة ١٩٨٧ م، وقد اتخذت التكفير مبدأً أساسياً في دعواتها وبياناتها ورسائلها، وأكثر من هذا فقد كُفرت الفرق السياسية المناوئة، مثل تكفير كثير من أعضاء حركة عشرين فبراير الذين خرجوا منددين بالأوضاع المتردية في البلاد ضمن ثورة الربيع العربي الكبرى. كما كُفرت علماء السلفية. وفي هذا الصدد، يقول عبد السلام ياسين: «ورغم أن الحرب المعلنة على طاغوتية البدع والشرك والقبور لم تعد إلا ملهامة تموّلها وتخرج مسرحيتها اليد الماكرة، يد الطاغوت السلطاني؛ لتحتضى الدولة العشائرية في عين العامة بالذكر الطيب، يحمل مباخر السلطان زعماء السلفية السائرون في الركاب الشديد البطش والبأس على عباد الله»<sup>(١)</sup>.

ويقول عبد السلام ياسين - أيضاً - : «كان المصلحون السلفيون، ولا يزال أتباعهم ومقلدوهم؛ كمن يحاول أن يطفئ ناراً ويخمد لهيبها، مستجبرين بالحاكم ومستظهرين به، أو ساكتين عنه، وفي أحسن الأحوال تمهّد فرق الإطفاء الطريق أمام الطاغوتية الحكيمية»<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن المغرب يعرف مجموعة من الحركات الإسلامية الدينية والسياسية المتطرّفة والمعتدلة. ومن أهم هذه الحركات: حركة التوحيد والإصلاح التي تشكّل العمود الفقري لحزب العدالة والتنمية، وجماعة العدل والإحسان، والبديل الحضاري، والحركة من أجل الأمة، وجماعة الصراط المستقيم التي اتّهمت بتنفيذ تفجيرات الدار البيضاء، وجماعة التكفير والهجرة، وجماعة السلفية الجهادية. وقد ساهمت هذه الجماعات في مجموعة من العمليات الإجرامية في مدن، مثل: الدار البيضاء، وفاس، ومكناس، وسلا، وطنجة، وتطوان، والناظور، واليوسفية.

(١) ياسين، عبد السلام: الإحسان، ط١، لام، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢١٧.

(٢) م. ن.، ص٢٢٢.

## سابعاً: الحلول المقترحة للحد من ظاهرة التكفير:

يبدو أنّ التكفير ظاهرة مُبالغ فيها في مجتمعنا العربيّ الإسلاميّ المعاصر، تتمّ عن غلوّ وتطرّف وجمود فكريّ، فكيف يُعقل اتّهام مسلم بالكفر وهو يؤمن بالله، ولا يشرك به أحداً، ويقيم فرائض الإسلام؟ لذا، لا بدّ من الاحتراز والتريّث والتروّي في إصدار الأحكام الخطيرة؛ كالتكفير. والآتي، أنّ ثمة مجموعة من الحلول للحد من ظاهرة التكفير، يمكن حصرها فيما يلي:

١. الابتعاد عن الغلوّ والتطرّف في الدين؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «إياكم والغلوّ في الدين؛ فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ - أيضاً - «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»<sup>(٢)</sup>. وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>. ونبذ التشدّد؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٤)</sup>. وقد قال الرسول ﷺ ناهياً عن الغلو: «إنّ الدّين يسرّ، وكنّ يشادّ الدّين أحدٌ إلاّ غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»<sup>(٥)</sup> (٦).

٢. نبذ العنف والتطرّف، وتمثّل منهج السلم الأخلاقيّ والدينيّ والاجتماعيّ؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا

(١) رواه ابن عباس وابن مسعود.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم في كتاب العلم.

(٣) فاطر: ٢٢.

(٤) البقرة: ١٤٣.

(٥) الغدوة: الغداة، والروحة: الرواح، والدلجة جزء من الليل.

(٦) حديث رواه أبو هريرة، ورواه البخاري (٣٩) ومسلم (٢٨١٦).

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١﴾ .

٣. تحكيم عقلية التسامح والتفاهم والعفو والتعايش والتعاون والتكامل مع الآخرين، والدفاع عن الإنسانية قاطبة، والابتعاد عن سياسة الإقصاء والتغريب والكرهية والتكفير. وفي هذا السياق، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، ﴿ وَمَنْ أَيْنِئْتَهُ خَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ السِّنِينَ كُمْ وَالْوَنِيكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعٰلَمِينَ ﴾ (٣)، ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِنَاسٍ إِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقٰنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤).

٤. الاعتراف بالاختلاف؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (٥) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٥﴾ . ومن هنا، فالاختلاف نوعان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، وأمّا الأول فهو مقبول في الإسلام؛ لأنّه اختلاف شكلي في الفروع والتفصيلات. وأمّا الثاني، فهو اختلاف مذموم؛ لأنّه اختلاف جوهري يمسّ أصول العقيدة، والمبادئ الدينية، ويكون اختلافاً من أجل الاختلاف والخلاف ليس إلا، ويعترف - أيضاً - بالجدال الحسن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١).

٥. تمثل الواقعية والعقلانية ومنطق التروّي قبل إصدار الحكم بالتكفير؛ لأنّ في ذلك ظلماً وتجنّياً واعتداءً على معتقد الآخر؛

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) الروم: ٢٢.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) هود: ١١٨-١١٩.

(٦) النحل: ١٢٥.

مهما اختلفنا معه في الأفكار والمعتقدات والتصوّرات؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(١)</sup>.

٦. المصالحة بين جماعات العمل الإسلامي والتيارات الوطنية والقومية<sup>(٢)</sup>، والمصالحة بين المؤسسات الرسميّة والشعبية، والمصالحة بين الشعوب والأنظمة، مع الابتعاد عن الغلو والتشدد والتطرف، وعدم الاحتكام إلى سلاح الإقصاء والعدوان والعنف والإرهاب والتكفير؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٧. فهم الإسلام فهماً عميقاً؛ بمراعاة مصالحه وواقعته ومقاصده الشرعيّة القريبة والبعيدة، ومراعاة الظروف والأحوال والعادات والتقاليد والأعراف، والتدرّج في إصدار الأحكام، والاجتهاد في استنباط الأحكام في التعامل مع الآخر أو غير الأجنبي. وقد قال الله جلّ وعلا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمُنَاقَاةُ لِلَّذِينَ تَابُوا أَسْمَاءَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَكُمْ بَأْسٌ فِيهَا كَقَوْلِ اللَّهِ قَدْ جَاءَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى اللَّهِ فِي تَوَاضُوعٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

٨. الابتعاد عن حكم الهوى، وتجنّب المنطلقات الإيديولوجية والسياسية والحزبية، وعدم الركون إلى المصالح الشخصية؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْرَ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥﴾، وقال تعالى - أيضاً - : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٦﴾﴾.

هذا، وقد ذكر حمّاد عبد الجليل البريدي في كتابه (التحذير من الغلّو في التكفير) مجموعة من الحلول التي تتمثل في: تصحيح الاعتقاد، والرجوع إلى عقيدة السلف الصالح، وتحكيم الكتاب والسنة، وطلب

(١) المائة: ٤٨.

(٢) البشير، عصام أحمد: (الحركات الإسلامية وسمات الخطاب الناجح)، الحركة الإسلامية، رؤية نقدية، ١٤، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م، ص ٧٩-١١٠.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) ص: ٢٩.

(٥) النجم: ١-٣.

(٦) النزاعات: ٤٠-٤١.

العلم الشرعي والتفقه في الدين، وطلب الحق وتحريه، واتباع الدليل والالتزام به<sup>(١)</sup>.

## خاتمة:

تبين لنا، ممّا سبق ذكره، أنّ الجمعيّات والحركات الإسلامية المعاصرة قد استخدمت مبدأ التكفير سلاحاً في زمن التفكير والعقلانيّة، فوجّهته إلى المخالفين لها؛ ما أنتج غلواً وتطرفاً وتشدداً؛ وقد تحوّل هذا الغلوف في بعض الأحيان إلى عنف معنوي، وإرهاب دموي. وثمة أسباب كثيرة وراء استخدام هذا السلاح تعود إلى الجهل، والأمية، والفهم السطحيّ للقرآن، وعدم فهم مقاصد القرآن فهماً صحيحاً، والغلوف في الدين؛ بسبب التوقّف عند ظاهر النصّ، وعدم التعمّق في دلالات النصّ تعمّقاً حقيقياً.

هذا، وقد اتّخذ التكفير عند الحركات والجمعيّات الإسلامية طابعاً سياسياً في جوهره، وإن كان يظهر في كثير من الأحيان على أنّه تكفير ديني. علاوة على ذلك، فالحركات الإسلامية أنواع وأصناف، فيها المتطرّفة والمعتدلة والمنفتحة والمغترية. بيد أنّ المتطرّفة والمتشدّدة منها هي التي استخدمت سلاح التكفير بكثرة وغلوّ وتطرّف مبالغ فيه، دون تريث أو احتراس أو تروّ عميق. ومن هنا، ندعو كافة الحركات الإسلامية المعاصرة إلى الأخوة والتعايش والتفاهم والتعارف، واستبدال الخلاف السياسي الشائن باختلاف حواريّ بناء وهادف ونافع للفرد والمجتمع على حدّ سواء؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) البريدي، التحذير من الغلوف في التكفير، م.س، ص ٢٣٠-٢٥٤.

(٢) آل عمران: ٦٤.